

السفارات والمعاهدات في عصر المرابطين. د. علي محمد شايح القفري¹ (540479هـ/1045-1086م)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة فهم أوضاع الأندلس خلال فترة حكم دولة المرابطين في بلاد الأندلس، وكيف استنجد ملوك الطوائف بالأمير يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين كذلك سفارة المرابطين إلى الفونس السادس ملك مملكة قشتالة، وما ترتبت عن تلك العلاقات من سفارات ومعاهدات، وكيف ساهمت في تغيير موازين القوى في بلاد الأندلس. بعد ذلك استطاع الأمير يوسف بن تاشفين الحفاظ على بعض مدن الأندلس من السقوط في يد ملوك النصارى

وقد توصلت الدراسة إلى الآتي:

الدور البارز والمهم لملوك الطوائف في اختلال الخارطة الديمغرافي السياسي للخارطة الأندلسية. القضاء على ملوك الطوائف من قبل زعيم المرابطين بعد خيانتهم له. الكلمات المفتاحية: الأندلس. ملوك الطوائف. المرابطين. السفارات.

¹ جامعة 21 سبتمبر- كلية البيئة والمجتمع - اليمن. صنعاء.

Abstract

This study aims to understand the situation in Andalusia during the Almoravid period, and how the Taifa Kings sought help from Prince Yusuf ibn Tashfin, leader of the Almoravid state.

The Almoravid embassy to Alfonso VI, King of Castile, and the resulting embassies and treaties contributed to changing the balance of power in Andalusia.

After this, Prince Yusuf ibn Tashfin was able to protect some Andalusian cities from falling into the hands of the Christian kings.

The study concludes the following:

The prominent and important role of the Taifa Kings in disrupting the demographic and political map of Andalusia.

The elimination of the Taifa Kings by the Almoravid leader after their betrayal.

Keywords: Andalusia, Taifa Kings, Almoravids, Embassies.

مقدمة:

- تعالج هذه الدراسة العلاقة السياسية بين ملوك الطوائف وزعيم المرابطين وكذلك النصارى في تلك الفترة.
- والاختلالات التي طرأت على الخارطة الجو سياسية في الأندلس، وليس هدفها تتبع نشأة دولة المرابطين، وذلك من خلال طرح التساؤلات التالية:
- كيف ساهمت الصراعات بين ملوك الطوائف في تغيير الخارطة الجو سياسية في الأندلس
- ماهي الأسباب التي ساهمت في تكوين سفارات ومعاهدات بين حكام ملوك الطوائف والأمير يوسف بن تاشفين وما مدى نجاحها؟
- ومن هنا يمكن القول: بأن طرح تلك التساؤلات من شأنها أن تؤكد على دور السفارات والمعاهدات بين ملوك الطوائف وبين زعيم المرابطين، ومن خلال ذلك تم تقسيم الدراسة لعدة عناوين رئيسة عن تلك السفارات والمعاهدات، وكل عنوان سيتم استخدام المنهج التاريخي الوصفي، والتحليلي لهذه الدراسة وهي كالاتي:
- سفارة المتوكل عمر بن الأفطس إلى ملوك الطوائف.
- مراسلة المعتمد بن عباد للأمير يوسف بن تاشفين.
- سفارة عبد الله بن بلقين إلى الأمير يوسف بن تاشفين
- سفارة يوسف بن تاشفين إلى الفونس السادس
- معاهدة المتوكل ابن الأفطس مع الفونس السادس ضد المرابطين
- سفارات القاضي جحاف حاكم بلنسية إلى قادة الأمير يوسف بن تاشفين
- سفارة علي بن يوسف إلى أهالي وفقهاء قرطبة

تمهيد:

تسبب ضعف ملوك الطوائف وتفككهم سبباً في زيادة خطر الممالك المسيحية على الأندلس؛ الأمر الذي جعلهم يستنجدون بدولة المرابطين⁽¹⁾ التي تأسست في بلاد المغرب على يد عبد الله بن ياسين، ويحثونهم في نجدتهم على جهاد النصارى؛ فبدأ التمثيل الدبلوماسي المتمثل في السفارات والمعاهدات ما بين الأندلس والمغرب في تلك الفترة لطلب مد يد العون والنجدة من المرابطين وسوف يتناولها الباحث كل على حدة.

أولاً/ سفارة المتوكل عمر بن الأفطس إلى ملوك الطوائف:

فوز المتوكل عمر بن الأفطس حاكم مدينة بطليوس القاضي أبي الوليد الباجي الذي يعتبر من علماء الأندلس البارزين في الخروج بسفارة إلى ملوك الطوائف يدعوهم إلى لم الشمل وتوحيد الكلمة؛ خاصة وقد استفحل خطر الفونس السادس، كما بعث ابن الأفطس قاضيه أبا إسحاق بن مقاتل إلى مدينة إشبيلية الذي كان يحكمها المعتمد بن عباد ليشارك في الوفد الموجه إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، ويعتبر المتوكل ابن الأفطس أول من قام بمراسلة يوسف بن تاشفين والاستنجاد به من ملوك الطوائف، وكان ذلك في سنة 474هـ/1081 م⁽²⁾.

ثم أرسل ابن الأفطس أبا الوليد الباجي برسالة موجهة إلى يوسف بن تاشفين يستنجد به سنة 474هـ/1081م قائلاً فيها: "لما كان نور الهدى أيدك الله دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك ... ووقفت على الجهاد عزائمك وصح العلم بأنك لدولة الإسلام أعز ناصر... ألا ناصرأ لهذا الدين المهتضم ألا حاميا ... ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك أعزك الله بالنازلة في مدينة قورية

(¹) المرابطون: يرجع أصل المرابطين إلى قبيلة صنهاجة إحدى قبائل البرانس البربرية، وينتمون إلى قبيلة لمتونة، فكانوا بداية أمرهم يقطنون الصحراء، وعرفوا أيضاً بالملثمين. (مجهول: كتبه في 712هـ/1312م): مفاخر البربر، تحقيق/ عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق، الرباط، 2005م، ص52. محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي (539430هـ)، مكتبة القاهرة 1969م، ص119).

(²) الحميري: أبو عبد الله محمد عبد المنعم (ت866هـ/1461م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط⁽²⁾، 1980م، ص86. ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (595 - 685هـ/1199-1260م): الحلة السيرة، تحقيق/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ج2، ص98 - 99.

وتعتبر من مراكز مدينة ماردة في الأندلس (Coria) أعادها الله للإسلام، وأنها مؤذنة للجزيرة بالجلء، ولمن فيها من المسلمين بالجلء ... وتضاعفت البلبله، وتحصلت بيد العدو مدينة سرية ... استولى عليه عدو مشترك وطاقية منافق إن لم تدركوها بجماعتكم عاجلاً...⁽¹⁾.

ظهر من خلال تلك الرسالة التي بعثها ابن الأفطس حاكم مدينة بطليوس إلى يوسف بن تاشفين الحاجة الشديدة والإلحاح في طلب يد العون والمساعدة منه، وعدم التردد ضد ملوك النصارى خاصة أن الفونس السادس عمل على تهديده وطلب من ابن الأفطس زيادة الإتاوة.

تعتبر سفارة أبو الوليد الباجي أولى المراسلات التي أدت إلى دخول المرابطين الأندلس عندما اقتحم النصارى مدينة بريشتير التابعة لإحدى مدن الأندلس⁽²⁾، حيث قام بوضع خطة جديدة لإنقاذ الأندلس من الفونس السادس الذي سيطر على مدينة طليطلة، وكان يطمح بالاستيلاء الكامل على مدن الأندلس وطرد المسلمين منها، فلم يكن الأمر بهين في جمع كلمة ملوك الطوائف، وإقناعهم في الاستعانة بدولة المرابطين التي كانت مقرها في مدينة صنهاجة بالمغرب، حيث استمر أبو الباجي في مساعيه الحميدة ودعاه إلى ضرورة لم شمل جميع ملوك الطوائف، وتنقل بين مدن الأندلس، والتقى بملوك وأمراء الطوائف ووعظهم بضرورة توحيد الرأي والصف وطلب النجدة من المرابطين، وأصبح معروفاً فيما بعد بأنه من أهم أسباب التمهيد لدخول المرابطين الأندلس⁽³⁾، أو على الأقل لم يبدي معارضة لذلك من دخول المرابطين، ويذكر: " أنه ذهب إلى المرية سفيراً بين رؤساء الأندلس يؤلف على نصرة الإسلام ويروم على جمع كلمتهم مع جنود ملك المغرب المرابطين على ذلك"⁽⁴⁾.

(¹) ابن بسام، أبو علي الحسن علي الشنتريني (ت460هـ/1067م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق/ إحسان عباس، دار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ج2، ص1، 250.249.

(²) الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت599هـ/1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق/ روجية عبد الرحمن السويدي، ط⁽¹⁾ 1997م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ص303.302.

(³) ابن بسام: الذخيرة، ج2، ص1، 95. فارس بوز: تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، منشورات جامعة دمشق، 1995م، ص177.

(⁴) ابن عياض، عياض بن موسى السبتي اليحصبي (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك، تحقيق/ محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 1983م، ج8، ص127. ابن قنفذ، أحمد بن الحسن الخطيب (ت809هـ): كتاب الوفيات، تحقيق/ عادل نويهض، بيروت، 1971م، ص255.

وهذا النص يؤكد تمهيد الباجي لدخول مرابطي المغرب إلى الأندلس، وأنه أول من طرح هذا الرأي من العلماء فكان له الفضل في جمع كلمة ملوك الطوائف على ذلك⁽¹⁾.

وهذا يعزز على ما ذكرناه سابقاً أن عقد التحالفات والمعاهدات بين ملوك الطوائف أصبح صعباً بسبب تفككهم إلى دويلات، وكل واحد منهم يسعى إلى تحقيق مآربه ومصالحه الشخصية. نتج عن مقتل السفير ابن ساليب اليهودي أن بعث الفونس السادس برسالة إلى المعتمد بن عباد حاكم مدينة إشبيلية يقول فيها "كثير مقامي في مجلس الذبان وأشدت على الحر فالقني من قصرك بمروحة أروح بها نفسي وأطرد بها الذباب عني) فرد له المعتمد بن عباد بخط يده على ظهر الورقة "قرأت كتابك، وفهمت خيالك، وإعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية في أيدي الجيوش المرابطة تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله"⁽²⁾.

كذلك من الرسائل التي بعثها الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد يهدده بالخضوع والطاعة قائلاً له فيها "من الكنبيطور، ذي الملتين الملك المفضل، الادفنش بن شانجة إلى المعتمد بن عباد سدد الله آراءه، وبصبره مقاصد الرشاد: سلام عليك من مشيد ملك شرفته القناء، ونبتت في ربهه المنى، فأعتر اعتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حامله، وقد أبصرتم مانزل بطليطلة وأقطارها، وما صار بأهلها حين حصارها، فأسلمتم إخوانكم وعطلتم بالدعة زمانكم والحذر من أيقظ باله، قبل الوقوع في الحبالة... ووصل رسول الغزو ووأرده لكن الإنذار يقطع الأعذار، ولا يعمل الا من يخاف الفوت فيما يرومه، أوز يخشى الغلبة على مايسومة، وقد حملنا الرسالة إليكم القرمط البرهانس..."⁽³⁾.

فرد المعتمد بن عباد على رسالة الفونس السادس قائلاً له: "... من الملك المنصور بفضل الله المعتمد بن عباد، إلى الطاغية الباغية أذفنش بن شانجة، الذي لقب نفسه بملك الملوك، وسماها بذني الملتين قطع الله دعواه.

(1) ابن الخطيب: كتاب رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص20.
(2) ابن عذارى، عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م): كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق/ ج. س. كولان، ليفي برونسسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج4، ص114.
(3) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979م، ص39.38.

سلام على من أتبع الهدى أما بعد:

فأنه أول ما نبدأ به من دعواه، أنه ذو (الملتين) والمسلمون أحق بهذا الاسم، لأن الذي تلمكوه من أمصار البلاد، وعظيم الاستعداد، ومحبي المملكة، لا تملكه قدراتكم ولا تعرفه ملتكم، وإنما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك، وأغفل عن النظر السديد جميل مباديك، فركبنا مركب عجز نسخته الكيس... ولا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك، وأنا لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم أنحاؤه، ولا حسن انتمائه، وأعجبك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغتررت بنفسك أسوأ اغترار، أما تعلم أنا في العدد والعديد والنظر السديد ولدينا من كمة الفرسان، وجيل الإنسان، وحماة الشجعان، يوم يلتقي الجمعان، رجال تدرعوا الصبر، وكرهوا الكبر، تسيل نفوسهم على حد الشفار وتنعاهم الهام في القفار يدبرون رحي المنونة بحركات العزائم... قد أعدوا لك ولقومكم جلادا وشفارا حدادا شحذها الأصفاق، وقد يأتي المحبوب من المكروه، والندم على عجلة الشره...⁽¹⁾.

وهذا يُعد من قبل من الفونس السادس لجميع أمراء الطوائف بالويل والفناء؛ منهم المعتمد بن عباد مما جعله يقوم بمراسلة يوسف بن تاشفين، وقيل إنه ذهب بنفسه إلى يوسف بن تاشفين لطلب النجدة منه؛ وأراد التكفير عن ذنبه في تقاعسه في الدفاع عن مدينة طليطلة⁽²⁾، وكان المعتمد بن عباد يعتبر الثاني بعد المتوكل بن الأفطس عمل على استنجاد المرابطين، ولما علم أقرانه من أمراء الطوائف بمراسلاته ليوسف بن تاشفين حذروه منه، وأشاروا عليه بمهادنة الفونس، وعقد السلم معه قائلين له: "إن الملك عقيم والسيوفان لا يجتمعان في غمد واحد، فأجابه ابن عباد بكلمته السائرة: رعي الجمال خير من رعي الخنازير"⁽³⁾.

⁽¹⁾ مجهول: الحلل الموشية، ص 39. 41.

⁽²⁾ ابن أبي الزرع، علي بن محمد بن عمر (ت 726هـ/1325م): الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة، الرباط، 1972م، ج 2، ص 526. للمزيد انظر عبد الحكيم ذي نون: آفاق غرناطة، دار المعرفة لنشر، دمشق، 1988م، ص 2928.

⁽³⁾ مجهول: الحلل الموشية، ص 28. سلوى عبد الخالق علي أحمد: الأوضاع السياسية والاقتصادية وأثرها على المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين (1414هـ/1994م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص 82-83.

كما اعترض الرشيد بن المعتمد على موقف أبيه قائلاً له " يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا الملك ويشنت الشمل، فقال له المعتمد يا ولدي لأن أموت راعياً بالمغرب خيرٌ عندي من أن أرى الأندلس دار كفر فتكون اللعنة عليّ من المسلمين أبد الدهر، فقال الرشيد يا أبتِ افعل ما أمرك الله فقال إن الله لم يلهمني لهذا إلا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين" (1).

ومن هذا الحوار الذي دار بين المعتمد وابنه يُستشف الباحث أن المعتمد أبدى مدى اهتمامه بمشاورة القريب منه في تلك الأمور التي سوف يقدم عليها في سياسته هذا من جانب، ومن جانب آخر يستشف منه مراعاته للأمور الدينية في سياسته فضلاً عن مراعاته لشعور المسلمين والخشية من أن يلعنوه، لذا أراد أن يعمل شيئاً لصالح المسلمين، ويبرر مساوئه خاصة بعد تحالفه مع ملوك النصراري. بعد مراسلة وسفارات أبي وليد الباجي مع ملوك الطوائف ومع زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين، جاءت بعد ذلك مراسلات وسفارات فقهاء الأندلس له، وهذه المراسلات نتيجة أثر سقوط مدينة طليطلة، وكانت في أعقاب سنة 479 هـ/1086 م، التي سببت صدمة كبيرة للمسلمين، وكان ذلك بسبب ضعف ملوك الطوائف؛ حيث ذهب وفود من فقهاء ثغور الأندلس من محض إرادتهم وغيرتهم على الإسلام في الأندلس في تلك الفترة إلى يوسف بن تاشفين مستعطفين ومجهشين بالكاء مناشدين له ومستنجدين بفقهاء دولته ووزرائه لإيصال الرسائل أو لتسهيل الدخول عليه في مجلسه ومن ثم يستمع ويصغي لقولهم حتى ترق نفسه لهم (2).

وفيما بعد اجتمع خيرة فقهاء الأندلس في قرطبة وعلى رأسهم قاضي الجماعة عبد الله بن محمد أدهم قاضي في مدينة قرطبة، والقاضي أحمد بن خلف، ويعرف بابن القليعي، قاضي مدينة غرناطة، وأبا بكر بن زيدون وزير المعتمد بن عباد ملك مملكة اشبيلية، وأبو إسحاق بن معاذ بن مقانا قاضي مدينة بطليوس واتفقوا على مراسلة زعيم المرابطين الأمير يوسف بن تاشفين يطلبون منه الغوث، ولما وصل

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 29.27. للمزيد انظر حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008م، ص 54.

(2) الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت 685هـ/1287م): رايات المبرزين، تحقيق/ غريسة غومس، (د.ن)، مدريد، 1942، ص 50.

المعتمد بن عباد إلى قرطبة أخبره القاضي بن أدهم بأمر الاجتماع وما دار فيه فاستصوبه المعتمد⁽¹⁾، وبعد اجتماعهم ذهبوا على رأس سفارة إلى الأمير يوسف بن تاشفين حاملين له رسالة تتضمن وصف حال الأندلس ودعوة له للجواز لإنقاذها من النصارى، وكان نص الرسالة مؤرخاً في سنة 479هـ/1086م مخاطبين له فيها:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلّى الله على سيدنا إلى حضرة الإمام أمير المؤمنين وناصر الدين محيي دعوة الخليفة، الإمام أبي يعقوب بن يوسف بن تاشفين القائم بعظيم أكبارها الشاكر لإجلها المعظم ... سلام كريم يخص الحضرة المعظمة السامية ورحمة الله تعالى وبركاته.

كتب المنقطع إلى كريم سلطانها من إشبيلية في غرة جمادي الأول 479هـ/1086م، وإنه أيد الله أمير المسلمين ونصر به الدين فأنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا ضيعتنا فصرنا شعوباً لا قبائل وأشتاتاً لا قرابة ولا عشائر، فقل نصرنا وكثر شامتنا، وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين أذفنش وأناخ علينا بطليطلة ووطنها بقدمه وأسر المسلمين وأخذ البلاد والقلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه، ولو شاءوا لفعلوا إلا أن الهواء والماء منعهم من ذلك، وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال، وأنت أيديك الله سيد حمير ومليكها الأكبر وأميرها وزعيمها نزعتم بهمتي إليك واستنصرت بالله ثم بك واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر وتحيون شريعة الإسلام على دين محمد ﷺ ولكم عند الله الثواب والأجر"⁽²⁾، وعند وصولهم إلى مدينة مراكش حاملين تلك الرسالة، استقبلهم الأمير يوسف بن تاشفين وأحسن في استقبالهم، وبعد أن قرأ الرسالة وسمع منهم، فكان من ضمن شروطهم في تلك الرسالة أن يساعدهم على التخلص من سطوة الفونس السادس ويمد لهم الدعم العسكري، واشتروا عليه أن لا يسيطر على أملاك ملوك الطوائف فيما بعد⁽³⁾.

(¹) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ج 6، ص 220.

(²) ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أبو العباس (681.608هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ج 5، ص 28.

(³) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج 2، ص 99.98.

يتضح من النص حاجة ملوك الطوائف الملحة لمديد العون من قبل المرابطين والوقوف في وجه النصارى، وعلى الرغم من ذلك يظهر جلياً خوف ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد من أن يسيطر على مدن الأندلس وضمها إلى ملكه.

بعد ذلك استشار يوسف بن تاشفين حاشيته من فقهاء ومستشارين وعرض عليهم ذلك الأمر منهم كاتبه ومستشاره عبد الرحمن بن أسبط وهو أندلسي الأصل من مدينة المرية فأشار عليه بأن يطلب من المعتمد بن عباد الجزيرة الخضراء تكون له قاعدة لأجنادة متى يشاء كمحطة خط تموين لهم⁽¹⁾، ثم أرسل الأمير يوسف بن تاشفين من المغرب بسفارة في تلك الفترة إلى المعتمد بن عباد الفقيه بن الأحسن السجلماسي الذي انخرط في خدمة المرابطين والقاضي أبو مروان عبد الملك المصمودي قاضي الجماعة حملين معهم تلك الرسالة إلى المعتمد ومخاطباً له فيها: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** وصلى الله على سيدنا من حضرة الإمام أمير المؤمنين وناصر الدين يوسف بن تاشفين إلى الأمير المؤيد بنصره إلى الله تعالى المعتمد بن عباد أدام الله كرمه وتقواه... أما بعد وصل خطابك الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك، فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك في الشرع وكتاب الله وإنه لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، فإن رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك ابعث إلينا بعقودها ونحن في أثر خطابك إن شاء الله تعالى..."⁽²⁾، وبعد أن قرأ المعتمد بن عباد الرسالة قبل بشروط تلك المعاهدة وأمر ولده الراضي يزيد بن محمد بن المعتمد بن عباد الوالي على حكم الجزيرة الخضراء بتسليمها للمرابطين، وكان ذلك في سنة 479هـ/1086م⁽³⁾.

(¹) ابن الكردبوس، أبا مروان عبد الملك (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، 1965.1966م، ص90.

(²) مجهول: الحلل الموشية، ص50. للمزيد انظر ابن بلقين، عبد الله بن زيري (469/483هـ): مذكرات الأمير عبد الله والمسعى بكتاب التبيان، تحقيق/ ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ص103.102.

(³) الأمير عبد الله: التبيان، ص103. للمزيد انظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص382.

هذه السفارة والرسالة من قبل المرابطين جعلت يوسف بن تاشفين يطلب تسليم الجزيرة الخضراء له خوفاً منهم ليحطاط لنفسه من غدرهم، لكي يؤمن ظهره منهم وتكون الطريق مفتوحة له إلى المغرب لطلب العون والمدد وسهولة التراجع وقت الحاجة.

ثالثاً: سفارة عبد الله بن بلقين إلى الأمير يوسف بن تاشفين:

انتشرت أخبار المراسلات بين المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين، وحذى حذوه الكثير من أمراء الأندلس أن لم يكن لطلب العون فحسب؛ وإنما لكسب مودة المرابطين في حال دخولهم الأندلس وأن يأمنوا على نفوسهم وعلى أملاكهم، ومن هؤلاء الأمراء عبد الله بن بلقين ملك مدينة غرناطة، الذي اختار لسفارته القاضي القليعي في نفس سنة 479هـ/1086م الذي سبق وأن ذهب في سفارة إلى يوسف بن تاشفين مع فقهاء الأندلس، وتوطدت العلاقة بين الفقيه ابن القليعي والأمير يوسف منذ السفارة الأولى التي قام بها مع فقهاء الأندلس إلى المغرب لطلب النجدة⁽¹⁾.

كذلك أرسل عبد الله بن بلقين في الفترة ذاتها بسفارة أخرى إلى الأمير يوسف يترأسها الفقيه والقاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي ليحثه على الإسراع في العبور لنجدة الأندلس من يد النصارى، لكن الفقيه ابن سهل حث الأمير يوسف بن تاشفين للقضاء على حكم ملوك الطوائف بسبب تفريطهم وتصارعهم فيما بينهم⁽²⁾.

يتضح من ذلك أن ملوك الطوائف سعوا لكسب ود يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بسبب ضعفهم أمام ملوك النصارى، وكان يتم اختيار الفقهاء لمثل هذه المهام نظراً لبراعتهم وخبرتهم في مثل هذه النوع من السفارات.

(¹) الأمير عبد الله: التبيان، ص 104. للمزيد انظر الصاوي محمد الصاوي: دولة المرابطين، مكتبة الناقد، القاهرة، 2015م، ص 155.

(²) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله (ت 793هـ/1390م): تاريخ قضاه الأندلس كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط⁽⁵⁾، (د. ت)، ص 96.

رابعاً: سفارة يوسف بن تاشفين إلى الفونس السادس :

عندما سلم المعتمد بن عباد الجزيرة الخضراء قرر الأمير يوسف بن تاشفين العبور إلى الأندلس للجهاد واستقبله المعتمد بن عباد أحسن استقبال وبكل حفاوة، وقد جمع له من كبار رجال الأندلس حيث التقيا وتصافحا، وأظهر كل واحد منهما المودة للآخر، ومن ثم قدم المعتمد بن عباد له الهدايا والتحف، وأكرم في ضيافته⁽¹⁾.

وبعد دخول الأمير يوسف بن تاشفين الأندلس في سنة 479هـ/1086م مباشرة جرت مراسلات بينه وبين الفونس السادس، عملاً بأحكام السنة ويعرض عليه الإسلام أو الجزية أو الحرب، ومن مضمون ما أحتوت عليه تلك الرسائل عندما كتب الفونس السادس إلى يوسف بن تاشفين أن ملوك الطوائف يهددون بجوازك إلى الأندلس، وقد جعلت لمن يبشرني بذلك عشرة آلاف مثل، فإما أن تجوز إلى، وإما أن أجوز إليك⁽²⁾.

فلما قرأها يوسف بن تاشفين رد عليه برسالة قائلًا له فيها: "بلغت يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر البحر عليها إلينا، فقد عبرنا إليك وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك"⁽³⁾.

فغضب الفونس من الرسالة ورد بكتاب عنيف ملؤه التهديد والوعيد "أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي نغرم الجزيرة لأهل ملته منذ ثمانين سنة"⁽⁴⁾، ثم قال لرسول الأمير يوسف بن تاشفين: "من الإمبراطور ذي الملتين المفضل الفونس بن شانجة أما بعد فلا طفاء على ذي عينين إنك أمير

(¹) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم/ محمد سعيد العريان، ط (³) لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ص 117. للمزيد انظر بسام العسلي: المعتمد وابن تاشفين، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص 74.

(²) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 91.

(³) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 483. للمزيد انظر المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج 4، ص 362.

(⁴) ابن الخطيب: الحلل، ص 35. للمزيد انظر سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس عهد الأمير يوسف بن تاشفين، دار النهضة، بيروت، 1998م، ص 87.86.

المسلمين بل الملة الإسلامية كما أنا أمير الملة النصرانية ونحن نعتقد أن الله أظفرنا بكم وأعاننا عليكم، ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعاً، وبلغنا عنك وأنت في الاحتفال عن نية الاستقبال..."⁽¹⁾.

فكان رد يوسف بن تاشفين له قوياً وقصيراً وموجزاً في خلف الرسالة نفسها، وفي رواية "الذي يكون ستره" وفي رواية أخرى "ما تراه بعينيك لا ما تسمعه بأذنك، والسلام على من أتبع الهدى"⁽²⁾.

نستشف من ذلك أنها دارت ثمة سفارات ومراسلات قبل التقاء الطرفين عسكرياً بين الأمير يوسف بن تاشفين والفونس السادس، وكل هذه الأحداث والمراسلات المليئة بالوعد والوعيد من جانب الطرفين كانت تمهيداً لموقعة عسكرية حاسمة في تاريخ الأندلس.

كان طبيعياً وفقاً لتسلسل الأحداث أن يحدث الصدام العسكري بين المرابطين بزعامة الأمير يوسف بن تاشفين ومملكة قشتالة بقيادة الفونس السادس، ودارت بينهم معركة الزلاقة الشهيرة، وهي أرض بالأندلس بالقرب من مدينة قرطبة في يوم الجمعة من 11 رجب سنة 479هـ/1086م، التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، وبعد انتهاء المعركة قام المعتمد بن عباد بمصافحة يوسف بن تاشفين وهنأه بالنصر وعمت الفرحة أرجاء الأندلس، ومد من عمر الإسلام في تلك البلاد وكسر شوكة النصارى، لكن ليس إلى وقت طويل فربما درأ الخطر عن إشبيلية وما حولها من المدن الإسلامية؛ لكن لازال خطر النصارى كان يلوح في الأفق بشرق الأندلس⁽³⁾.

من خلال ما طرح عن معركة الزلاقة نستشف عدة أشياء منها: زادت شهرة المرابطين وذاع صيت الأمير يوسف بن تاشفين في الأندلس وعند الممالك المسيحية بسبب إنقاذه لملوك الطوائف من الفونس السادس.

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 47.48. للمزيد انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 88.

(2) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق/ بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ط⁽²⁾، 1956م، ص 240.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 95.

أ. سفارة المعتمد بن عباد إلى الأمير يوسف بن تاشفين للمرة الثانية:

استغل ملوك النصارى عودة الأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب فشددوا من هجماتهم على مدن الأندلس مما سبب خطراً كبيراً وتدهورت أحوال المسلمين خاصة بعد أن تجددت الصراعات مرة أخرى بين ملوك الطوائف في الأندلس، فقام الفونس السادس بالإغارة على مدن شرق الأندلس منها: مدينة بلنسية، ومدينة لورقة، ومدينة مرسية، خاصة بعد تصالحه مع السيد القمبيطور واسمه رودريجو أما لقبه بالسيد فقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم ويحارب معهم وكلمة قمبيطور هي تحريف لـ "الكمبيادور" ومعناها المحارب الباسل نظراً لشجاعته وجراته، وكان ذلك في سنة 480هـ/1087م الذي قام بهاجمة مدينة بلنسية، وسيطر على حصن ليط (Aledo) هو حصن حصين على رأس جبل شاقق بينه وبين مدينة لورقة وما جاوره من قواعد كثيرة في شرق الأندلس ليس هذا فحسب؛ بل قام السيد القمبيطور بمهاجمة أراضي مدينة إشبيلية وأرهقها بغاراته وما جاورها؛ لذا كان الخطر موجهاً ضد المعتمد أكثر من غيره؛ فذهب المعتمد بن عباد في سنة 481هـ/1088م بنفسه على رأس سفارة إلى المغرب لمقابلة الأمير يوسف بن تاشفين ويطلب منه يد العون والجهاد ضد الفونس⁽¹⁾، فلما وصل المعتمد بن عباد استقبله الأمير يوسف بكل حفاوة قائلاً له: "كان بإمكانك الكتابة إلى دون الشخص ببنفسك وأنا أحقق رغبتك، فأجابه الخطر الداهم هو الذي دفعني إلى العبور، ولن يقوى الأندلسيون على النصارى وعبور الأمير يؤدي خدمة جليلة للدين"⁽²⁾، كما توافدت في تلك الفترة على يوسف بن تاشفين كتبٌ ورسائل كثيرة من فقهاء الأندلس يحثونه على القدوم إلى الأندلس وتخليصهم من عبث الفونس والسيد القمبيطور⁽³⁾.

وتّم بينهم اتفاق ومعاهدة تنص على موافقة الأمير يوسف بن تاشفين لمناصرة ملوك الطوائف منهم المعتمد بن عباد؛ حيث عبر إلى الأندلس سنة 481هـ/1088م، وأثناء وصوله إلى مدينة الجزيرة

(¹) الأمير عبد الله: التبيان، ص 108. للمزيد انظر يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة/ محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص 89-90.

(²) الأمير عبد الله: التبيان، ص 108.

(³) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 96.

الخضراء استقبله المعتمد بن عباد، وقام بكرم الضيافة للأمير يوسف بن تاشفين، بعد ذلك بعث أمير المرابطين بسفاراته حاملين منه رسائل إلى جميع ملوك الطوائف يستدعيهم للجهاد واستجابوا لطلبه، وتم الالتقاء بهم عند حصن لبيط؛ فتم محاصرة الحصن الذي كان شديد المنعة، وظل حصاره زهاء أربعة أشهر، وأثناء ذلك الحصار لمس الأمير يوسف بن تاشفين مدى الخلاف والصراع بين ملوك الطوائف بالأندلس وضاق بهم الحال حيث تأكد من ضعف هؤلاء الملوك الذين لا يقدر على صون كرامة بلادهم ومواطنيهم، وما يمثلونه من خطورة على الإسلام والمسلمين في الأندلس بشكل عام، فآثر الانسحاب ومن ثم عاد إلى المغرب وقد تغيرت نفسيته على ملوك الطوائف⁽¹⁾.

يلاحظ بعد هذه الاتفاقية بدأ المرابطون يفكرون جدياً في بسط سيطرتهم على الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف، بعد أن تأكد لهم عجزهم في التصدي لخطر النصارى، وفي الوقت نفسه تناحرهم المستمر فيما بينهم في وقت خطير.

ب. معاهدة الأمير عبد الله بن بلقين مع الفونس السادس ضد المرابطين:

تشير بعض الكتابات التاريخية بعد عودة يوسف بن تاشفين من الأندلس إلى المغرب في المرة الثانية أحسَّ ملوك الطوائف بخطر يوسف بن تاشفين، وأضمرؤا له المكر والغدر، حيث عقدوا معاهدات مع الفونس سراً ضد يوسف، ولجأوا إلى فرض إتاوات باهظة على رعاياهم للحصول على الأموال التي يرضون بها الفونس مقابل حمايتهم من المرابطين⁽²⁾.

ويبدو أن طلب العون من النصارى لم تعد خطوة متهورة خاصة أن ملوك الطوائف اعتادوا على التحالف مع ملوك النصارى حيث لجأ ابن بلقين لطلب العون من الفونس ضد المرابطين الذين استعين بهم في بادئ الأمر ضد النصارى؛ فلما أحسَّ عبد الله بن بلقين بخطر المرابطين، أرسل سفارة في السر كي يتحالف مع الفونس وعقد معه معاهدة في سنة (483هـ/1090م)، مع البرهانس Alvar Hanez وهو بن عم السيد القمبيطور، وكان واحداً من كبار فرسان الفونس السادس ووكيله، وكان ذلك مقابل

(¹) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 96. للمزيد انظر محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي، ص 129.

(²) المراكشي: المعجب، ص 123.

حمايته من خطر المرابطين نظير أن يدفع له ثلاثين ألف قطعه ذهبية من ماله الخاص حتى لا يدخل المرابطون غرناطة، لكن يوسف بن تاشفين أفضل تلك المعاهدة وقضى على دولة بني زيري⁽¹⁾.

ج. وفود فقهاء الأندلس إلى يوسف بن تاشفين للمرة الثالثة:

لما عاد الأمير يوسف بن تاشفين مرة أخرى للمغرب أدرك واستشعر علماء الأندلس مدى استهتار ملوك الطوائف والصراع فيما بينهم، وضياح البلاد منهم؛ لذا سارعوا في إرسال الوفود محملين بالرسائل والفتاوى إلى الأمير يوسف بن تاشفين، وعلى رأسهم قضاة وفقهاء مدينتي غرناطة ومالقة الذين طالبوا بخلع ملوكهم لما ارتكبوه من كبائر في حق الرعية، وشجعوه وحثوه على فعل ذلك الأمر لما فيه من فائدة للمسلمين، حيث فضلوا أن تكون الأندلس تابعة للمغرب خير من أن تكون تابعة للنصارى⁽²⁾، كذلك اجتمع معه فقهاء مدينة إشبيلية وقضاة وأعيانها قائلين له: "هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم، ولا يجوز إمارتهم لأنهم فساق فجرة فاخلعهم عنا فقال لهم وكيف يجوز لي ذلك وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم، فقالوا له: "إن كانوا عاهدوك فهاهم قد ناقضوك وأرسلوا إلى الفونس أن يكونوا معه عليك حتى يوقعوك بين يديه، ويعود أمرهم إليه فبادر بخلعهم بجمعهم، ونحن بين يدي الله لمحاسبون، فإن أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم أعادوا بلاد المسلمين إلى الروم، وكنت أنت المحاسب بين يدي الله"⁽³⁾.

حيث أشاروا عليه جميع فقهاء الأندلس منهم القاضي القليعي بخلع المعتمد بن عباد صاحب مدينة أشبيلية والأرجح في ذلك لأنه كان يُعد أقوى ملوك الطوائف؛ فإذا خلعة الأمير يوسف كان إسقاط باقي الممالك أمراً هيناً؛ فضلاً عن هذا تلقى يوسف بن تاشفين فتوى شرعية من أكبر علماء

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 107.106. للمزيد انظر رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت)، ص 365.

(2) الأمير عبد الله: التبيان، ص 119.116. للمزيد انظر رينها دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمه/ كامل الكيلاني، نشر مطبعة عيسى ألبابي الحلبي، القاهرة، 1933م، ج 3، ص 145.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 106-107. للمزيد انظر شريفة محمد عمر دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربر في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م، ص 295.

المسلمين آنذاك الذين كانوا على علم بأوضاع الأندلس منهم الإمام محمد أبو حامد الغزالي وكان من العلماء المشهورين بالمشرق، والقاضي أبو بكر الطرطوشي يوصونه بالتمسك بالخير ويفتونه في شأن ملوك الطوائف بإقامة حكم الله بينهم⁽¹⁾، وبعدهما لقي يوسف بن تاشفين تأييداً شرعياً من كافة طبقات الشعب الأندلسي خاصته وعامته في شأن إزاحة ملوكهم، قرر العودة إلى الأندلس سنة (483هـ/1090م)، وتم القضاء عليهم⁽²⁾.

من خلال ما ورد في هذه النصوص يتضح لنا مدى وقوف علماء الأندلس في صف الأمير يوسف بن تاشفين والاستنجاد به ضد ملوك الطوائف، وإقامة جبهة إسلامية موحدة يمكنها مواجهة العدو والتغلب عليه، كذلك ملوك الطوائف إلا بعدما لقي فتوى شرعية وتأييد شرعي من فقهاء الأندلس والمغرب والمشرق بالقضاء عليهم.

د. مرسلة واستنجاد المعتمد بن عباد بالفونس ضد المرابطين:

أدرك المعتمد بن عباد أن المرابطين لا محالة يعدون العدة للقضاء عليه؛ خاصة وأن يوسف بن تاشفين كان فيه سخط شديد على المعتمد بن عباد صاحب مدينة إشبيلية، وكذلك على عمر بن الأفطس صاحب مدينة بطليوس بسبب عودة الصراع فيما بينهم؛ مما جعله يبعث بسفارة في سنة 484هـ/1091م، إلى الفونس السادس يستنجد به وعقد معه معاهدة تنص على طلب العون منه ودعمه بالجيش والعتاد ضد المرابطين مقابل إعطائه الجزية وكل ثرواته؛ فوافق الفونس على ذلك وأرسل له سرية من الجند مكونة من عشرين ألف فارس تحت قيادة البرهانس، في حينها كان أبو بكر إبراهيم اللمتوني بن تاشفين أحد قادة جيش يوسف بن تاشفين قام بمحاصرة مدينة أشبيلية قبل وصول جيش الفونس للدفاع عن المعتمد حسب المعاهدة التي أبرمت فيما بينهم، وعندما علم أمير المرابطين بقدوم جيش الفونس جهز حملة مكونة من عشرة ألف مقاتل بقيادة إبراهيم بن إسحاق اللمتوني الذي التقى بجيش الفونس وتغلب عليه قبل أن يصل إلى مدينة إشبيلية مما سهل للمرابطين

(¹) الأمير عبد الله: التبيان، ص 116-119. للمزيد انظر حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر، القاهرة، ط⁽²⁾، 1996م، ص 261-264.

(²) ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى المغربي (ت 562هـ/1166م): المغرب في حلي المغرب، تحقيق/ شوقي ضيف، ط⁽²⁾، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ج 1، ص 173-171.

دخول المدينة والسيطرة عليها؛ حيث أعطي الأمان والمواثيق والعهود للمعتمد بن عباد وولديه وجميع أهله مقابل تسليمهم دون أي مقاومة، لكن سير بن أبي بكر بن تاشفين، وهو أول حاكم من المرابطين على مدينة إشبيلية، لم يف بذلك الأمان حيث تم قتل أولاد المعتمد بمجرد استسلامهم، ومن ثم تم نفي المعتمد بن عباد ومن بقي معه من أهله إلى مدينة أغمات بالمغرب، وهكذا تم القضاء على حكم بن عباد في مدينة إشبيلية. وكان ذلك في سنة 484هـ/1091م⁽¹⁾.

يرى الباحث أن المعتمد بن عباد حاكم مدينة إشبيلية كان يعمل لمصلحته الخاصة والمحافظة على ملكه دون النظر إلى مصلحة المسلمين في الأندلس، ودليلاً على ذلك أنه ذهب إلى الأمير يوسف بن تاشفين في بلاد المغرب يطلب منه العون، ثم غير سياسته وطلب التحالف مع ملك قشتالة الفونس السادس.

خامساً: معاهدة المتوكل ابن الأفطس مع الفونس السادس ضد المرابطين:

عندما تمكن يوسف بن تاشفين من السيطرة على مدينة غرناطة؛ قدم إليه المتوكل عمر بن الأفطس في سنة 484هـ/1091م على رأس سفارة كي يهنئه بالنصر الذي حققه على عبدالله بن بلقين لكن الأمير يوسف بن تاشفين استقبله بكل جفاء، وعندما قرر الرجوع لم يقم بتوذيعة يوسف فحس المتوكل أن الدور قادم عليه؛ لذا فقد حذى حذو المعتمد بن عباد وعبدالله بن بلقين في الاستنجاد بملوك النصارى حيث أرسل سفارة بالسر ليتحالف مع الفونس السادس ضد المرابطين، وطلب منه الدفاع عنه مقابل التنازل له عن مدينة شنترين، وأشبونة، وشنترية في الوقت نفسه كان يظهر طاعته للمرابطين، عندما علم أهل بطليوس بمعاهدة ابن الأفطس للفونس بعثوا ليوسف بن تاشفين من أجل القضاء على حكم بن الأفطس وضم مدينة بطليوس تحت إمارته وتنص رسالتهم بعدم المهادنة مع هؤلاء الفجار، وبالفعل جرد له الأمير يوسف بن تاشفين حملة بقيادة سير بن أبي بكر بن تاشفين وتم إلقاء القبض على ابن الأفطس وحبسه، ثم قام بإعدامه في سنة 488هـ/1095م، وهكذا انتهى حكم بني الأفطس⁽²⁾.

(¹) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 104. للمزيد انظر الأمير عبد الله: التبيان، ص 170.

(²) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 107.106. للمزيد انظر الأمير عبد الله: التبيان، ص 172.

سادساً: سفارات القاضي جحاف حاكم بلنسية إلى قادة الأمير يوسف بن تاشفين:

لم يبق للأمير يوسف بن تاشفين في الأندلس سوى مدينتي سرقسطة وبلنسية من المدن الهامة التي لم تكن تحت سيطرته في تلك الفترة خاصة أن ملوك النصارى كانوا يريدون السيطرة على تلك المدن، وفي سنة 485هـ/1092م كان السيد القمبيطور يقوم بحماية القادر بن ذي النون حاكم مدينة بلنسية مقابل دفع الجزية له، وفي تلك الفترة خرج القمبيطور إلى مدينة سرقسطة ليساعد حليفه المستعين بن هود ملك مدينة سرقسطة على مواجهة الخطر الأرغوني، وعندما علم القاضي جحاف بخروجه انتهز فرصة غياب القمبيطور وأرسل بسفارة إلى أحد قادة الأمير يوسف بن تاشفين وهو محمد بن يوسف بن تاشفين الملقب بن عائشة، وكان من كبار قواد المرابطين عينه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائداً على شرق أسبانيا، وطلب منه مساعدته فأرسل له فرقة من الجيش، وقام بالثورة في تلك الفترة، والقبض على القادر ذي النون أمير بلنسية وقتله وبويع له بالرياسة⁽¹⁾.

أ. تبادل الرسائل بين السيد القمبيطور والقاضي جحاف:

لما علم القمبيطور بانقلاب القاضي بن جحاف عاد إلى مدينة بلنسية ولم يستطع الدخول إليها؛ لذا استخدم أسلوب المكر والدهاء حيث أرسل إليه وفداً في تلك الفترة يهنئه بقتل القادر بن ذي النون، وتولييه الحكم، حيث طلب منه أن يفتح أبواب بلنسية مقابل أن يجعله حاكماً عليها، كذلك طلب منه أن يتحالف القمبيطور معه، وعليه أن يقوم بطرد فرقة المرابطين، كذلك طلب من ابن جحاف تسليم الميرة المخزنة في مدينة بلنسية منذ حياة القادر، ومن شروطه طلب السيد أن يقوم بنشر جيشه في جميع جهات مدينة بلنسية، وافق القاضي جحاف على تلك الشروط مبدئياً، لكنه لم يمكث سوى أيام وأضاف السيد القمبيطور على المعاهدة السابقة شروطاً أخرى من ابن جحاف حيث طلب منه أن يقدم ابنه رهينة حتى يثبت بولائه للسيد فرفض القاضي بن جحاف تلك الشروط والاستسلام له، ورجع الوفد إلى القمبيطور وأخبره برد ابن جحاف فتوعدده وعمل على محاصرة مدينة بلنسية⁽²⁾.

(¹) ابن عذاري: البيان، ج4، ص3631.

(²) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص103. للمزيد انظر عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، دمشق، (د.ت)، ص372.

يتضح من خلال تلك المعاهدة أن السيد القمبيطور حاول استخدام المكر والمراوغة كي يتمكن من سحب البساط من القاضي جحاف والسيطرة على مدينة بلنسية في تلك الفترة، فحاول، أن يغريه بحكم مدينة بلنسية لكنه لم يدم الحال بينهم حتى زادت شروط السيد القمبيطور.

ب. رسائل القاضي جحاف إلى المرابطين:

لما كثر خطر السيد القمبيطور على مدينة بلنسية قام القاضي جحاف بإرسال سفارة في سنة 486هـ/1093م، وكان على رأس تلك السفارة أعيان مدينة بلنسية إلى الأمير يوسف بن تاشفين يطلبون منه مساعدته فأمر الأمير قائده بالأندلس أبا بكر بن إبراهيم اللمتوني بن تاشفين بالتوجه إلى مدينة بلنسية؛ فجاءت الحملة لكنها فجأة انسحبت وعادت إلى مدينة شاطبة، ويشار إلى سبب انسحاب الحملة في تلك الفترة هطول الأمطار بغزارة⁽¹⁾.

ج. سفارات القاضي جحاف لملوك الطوائف:

كان وضع مدينة بلنسية صعباً بسبب الحصار الشديد حتى قيل إنه أشد حصار عرفته الأندلس حتى كان الناس يموتون جوعاً، فأرسل القاضي جحاف في طلب العون من ملوك الطوائف منهم المستعين بن المقتدر بن هود صاحب مدينة سرقسطة وتأييد الدولة صاحب مدينة لاردة، وسيد الدولة صاحب مدينة طرطوشة وحسام الدولة صاحب مدينة شنت مرية التي تقع شمال مدينة طليطلة (Sauta Maria)، ونظام الدولة صاحب مدينة البونت وهي تابعة لمدينة بلنسية (Puntlandia)، وابن يملول صاحب حصن الأشرف لكنهم تأخروا عليه بالمدد وفقد الأمل في نصرة المرابطين له وملوك الطوائف؛ لذا اضطر إلى تسليم المدينة للقنبيطور سنة 487هـ/1095م⁽²⁾.

الملاحظ في سفارات القاضي جحاف أنه قد تخطى عنه المرابطون وملوك الطوائف إثناء استنجاههم مما يبرهن على مدى ضعفهم وتقاعسهم عن نصرة بلنسية.

⁽¹⁾ ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 34.33. للمزيد انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 80.81.

⁽²⁾ ابن بسام: الذخيرة، ق 3، م 1، ص 96.95.

نصوص الاتفاقية بين وفد القاضي بن جحاف والسيد القمبيطور:

- خرج وفد ابن جحاف من مدينة بلنسية لملاقاة القمبيطور طالبين منه فك الحصار عن المدينة، والتقوا بالقمبيطور وعقدوا معه معاهدة تتضمن على الآتي:
 - أن لا يغير السيد شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها.
 - تبقى ضاحية المدينة بيد القمبيطور.
 - يبقى ابن جحاف قاضياً وحاكماً لمدينة بلنسية ويؤمن في ماله وأولاده.
 - يتولى مندوب القمبيطور جمع الضرائب، وأن يدفع ابن جحاف جزية ألف دينار أسبوعياً
 - يسلم القاضي أموال القادر بن ذي النون كاملة.
 - يسند أمر حماية المدينة لفرقة عسكرية من النصارى المعاهدين⁽¹⁾.
- ولما تمت الموافقة بين ابن جحاف والقمبيطور تم فتح مدينة بلنسية ودخلها في سنة 487هـ/1094م، ثم بدأ السيد القمبيطور في التنصل عن تنفيذ شروط تلك المعاهدة التي بينهم، وقبض على القاضي جحاف بحجة اتهامه بسرقة أموال القادر بن ذي النون وأعدمه حرقاً سنة 488هـ/1095م⁽²⁾.

سابعاً : معاهدة المستعين بن هود مع القمبيطور والملك سانشو راميراث ضد المرابطين:

استشعر أحمد بن هود الملقب بالمستعين حاكم مدينة سرقسطة بالخوف من جانب النصارى، ولم يأمن غدرهم من الغارات على المدينة لقربها من حدودهم، فاتبع سياسة المهادنة والخضوع لهم اتقاء لخطرهم فسعى إلى طلب ودهم فعقد معاهدة مع السيد القمبيطور والملك سانشو راميراث ملك أرغون سنة 485هـ/1092م من أجل الدفاع عن الشرق ضد خطر المرابطين⁽³⁾.

(¹) ابن الكردوبوس: تاريخ الأندلس، ص 103. للمزيد انظر ابن الأبار: الحلة السراء، ج 2، ص 126.

(²) ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص 3835. للمزيد انظر كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (95.495هـ/1102.714م)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د.ت)، ص 130.

(³) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة بيد النصارى سنة 512هـ/1118م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992م، ص 100.

يتضح من هذه المعاهدة تخوف المستعين من ملوك النصارى فقرر أن يعقد حلفاً معهم ويدفع الجزية أفضل من أن يدخلوا بلده عنوة.

أ. سفارة المستعين بالله أحمد بن هود صاحب مدينة سرقسطة إلى يوسف بن تاشفين:

اتبع أمير المرابطين في سياسته بالقضاء على ملوك الطوائف بالأندلس سعيًا لتوحيدها مستثنياً منهم المستعين بالله صاحب مدينة سرقسطة؛ فقد عرف يوسف بموقفه وما يلاقيه من صعوبة أمام جيرانه النصارى، حتى إن يوسف بن تاشفين لم يعتب على المستعين بن هود أثناء معاهدته مع النصارى، وفي سنة 496هـ/1103م وجه المستعين بسفارة إلى يوسف بن تاشفين يسترضيه ويتقرب منه، وكان على رأس تلك السفارة ابنه عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين الملقب بالمستعين بالله ابن هود الجذامي أبو مروان عبد الملك، ووزيره أبو الأصبع ووزيره أبو عامر حاملين معهم كتاب من والده المستعين إلى يوسف بن تاشفين وكتب إليه قائلاً: "نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليه ضرر ومطاوعين قطوف قد قنعنا بمسالمكم"⁽¹⁾، وبعد أن تمت مقابلة الأمير يوسف بن تاشفين سلم عماد الدولة إليه هدية ثمينة من والده المستعين تحتوي تلك الهدية على الذخائر والتحف والياقوت والجواهر وأربعة عشر ربعة من آنية الفضة المنقوش والمطرز عليها اسم المقتدر بن هود من والده المستعين⁽²⁾.

وقد أدت هذه السفارة دورها بنجاح في تلطيف الأجواء بين الأمير يوسف والمستعين بالله وسادت بينهما العلاقة الودية، وعند رجوع تلك السفارة قام يوسف بن تاشفين بتوديعهم وصرفهم مكرمين وحاملين معهم رسالة للمستعين يقره على ما تحت يده، وتنص تلك الرسالة "من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله أحمد بن هود أدام الله تأييده. كتبناه إليك والله عز وجل يوالي أيام سعدك، ويعالي أعلام مجدك ويطيّل في طاعته وعلى أحسن ماتمناه عمرك، ويشد بتقواه أزرك ويعجري على كل لسان صدق ذكرك، من حضرة مراكش، حيث تتلى آيات شرفك، ومآثر السادة القادة سلفك،

⁽¹⁾ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 200.201.

⁽²⁾ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 174. للمزيد انظر محمد سلمان الهرفي: الأصول السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مكة المكرمة، 1982م، ص 155-156.

ونحن نحمد الله بجميع المحامد، ونستهديه أيمن المسالك وأبين المقاصد ونسأله أتم الفوائد، وأعم العوائد، ونصلي على سيدنا محمد صفوة أوليائه... وردنا أدام إقبالك وأخرى إلى غاية الإفضال آمالك نشأة السادة والفضل والنباهة والنبل أبو مروان عبد الملك ابنك... زاد الله به عينك قرة، ونفسك مسرة، ومعه وزيرك أبو الأصبغ وأبو عامر أكرمهما الله بتقواه، وكلاً وفيناه حق نصابه وأتيناه بره من بابه وتلقيناه تكربة بمقتضى دواعيه وأسبابه..."⁽¹⁾، وبعد تلك السفارة أرسل المرابطون له قوة مؤلفة من ألف فارس وستة آلاف راجل من المرابطين لمساندته، وظلت بينهم علاقة سارية وودية حتى سيطر المرابطون على مدينة سرقسطة سنة 503هـ/1110م في عهد عماد الدولة بن هود⁽²⁾.

نستخلص من هذه السفارة ليوسف بن تاشفين والتي تظهر حسن سياسته فعندما تأكد من صعوبة سيطرته على سرقسطة لبعدها في الشمال وهو مشغول بإسقاط باقي ممالك الطوائف.

ب. معاهدة بين عبد الملك بن هود حاكم مدينة سرقسطة مع الفونس الأول ملك أرغون :

استشهد أحمد المستعين بالله بن هود صاحب مدينة سرقسطة في موقعة بلتييرة (valtirra) إحدى مراكز تطيلة من أعمال مديرية نبرة) سنة 503هـ/1110م، وخلفه ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة الذي عرف عنه بميله للنصارى، وفي بداية حكمه بادر إلى عقد معاهدة مع الملك الفونسو الأول الملقب بالمحارب (Alfonse el Batallidar) وهو ابن سانشو راميرث تولى حكم مملكة أرغون بعد وفاة أخيه بيدر الأول سنة (498.529هـ/1104.1134م) ضد المرابطين أهل ملته، وكان سبب تلك المعاهدة أن محمد بن فاطمة أحد ولاة المرابطين الذي عينه علي بن يوسف بن تاشفين على مدينة غرناطة أراد السيطرة على مدينة سرقسطة بعد وفاة حاكمها المستعين بن هود؛ مما جعل عماد الدولة بن هود يعقد تحالف مع الفونسو المحارب مقابل التخلي للفونس عن بعض الحصون، ودفع الجزية له⁽³⁾، لكن وجدت رواية أخرى تنص في فحواها على أن عماد الدولة بن هود عندما علم بقدوم جيش محمد بن فاطمة بعث بسفارة في تلك الفترة إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يطلب منه الكف عنه ويسترضيه، ليس هذا فحسب؛

(¹) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 173.174.

(²) المراكشي: المعجب ص 132. للمزيد انظر مجهول: الحلل الموشية، ص 60.59.

(³) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 17. للمزيد انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص 53.

بل ذكره بصلة الود والصداقة التي كانت بين والده الأمير يوسف بن تاشفين، والمستعين بن هود بحيث أنه ترك سرقسطة حاجزاً بين مدن الأندلس والنصارى لكن لم يلقى لكلامه صدى مما جعله يتحالف مع الفونس المحارب⁽¹⁾.

وهنا يلاحظ التغيير في سياسة الأبناء عن آبائهم فعلي بن تاشفين لم يعد يرغب في التحالف مع عماد الدولة وأراد السيطرة على مدينة سرقسطة، وهذا الأخير لم يتردد في اللجوء للفونس حتى لا يفقد حكمه في سرقسطة.

ج. مراسلات سكان سرقسطة إلى الأمير علي بن يوسف:

عندما علم سكان مدينة سرقسطة بحقيقة المعاهدة التي تمت بين عماد الدولة بن هود مع ملك أرغون الفونس المحارب لم يضلوا مكتوفي الأيدي، بل بعثوا بسفارة في تلك الفترة إلى أمير المسلمين في مراكش (Marrakech) مدينة قام ببنائها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية وجلب إليها المياه، علي بن يوسف بن تاشفين يناشدونه بضم مدينة سرقسطة إلى دولته قبل سقوطها بيد الفونس، فأصدر مرسوماً خطياً إلى والي بلنسية محمد بن الحاج وهو من أسرة بربرية صنهاجية مشهورة بأن يخرج بجيشه في التو واللحظة ويستولي عليها ويضمها لدولة المرابطين، كذلك عندما علموا أهل مدينة سرقسطة بقدوم الفونس المحارب لمناصرة حليفه عماد الدولة بن هود قاموا بطرد عماد الدولة إلى حصن روطة، (Rueda de Jalon) وهذا الحصن تابع لمدينة سرقسطة، وظل هناك بذلك الحصن تحت حماية الفونس المحارب، أما محمد بن الحاج والي بلنسية فقد قدم إلى مدينة سرقسطة ورحب به أهلها وطالبوا بضمها لدولة المرابطين وكان ذلك في سنة 503هـ/1110م⁽²⁾.

يلاحظ هنا تكرار ما حدث مع المعتمد بن عباد من استنجد السكان بالمرابطين بعد تحالف الحاكم مع ملوك النصارى.

⁽¹⁾ ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ج 2، ص 483. للمزيد انظر مجهول: الحلل الموشية، ص 72.

⁽²⁾ ابن سعيد: المغرب، ج 2، ص 438. للمزيد انظر ابن عذارى: البيان ج 4، ص 5453.

هـ. معاهدة أحمد سيف الدولة بن هود مع الفونس السابع ضد الفونس المحارب:

استمر عماد الدولة بن هود حليف الفونسو المحارب في صراعه مع المرابطين حتى توفي في حصن روطنة سنة 524هـ/1130م، وخلفه في الحكم ابنه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الملقب بسيف الدولة وهو آخر ملوك بني هود، لكنه ترك حليف والده الفونسو المحارب ملك أرغونة وتحالف مع خصمه الفونسو السابع ملك قشتالة، حيث عقد معه معاهدة تنص بتنازل أحمد سيف الدولة له عن حصن روطنة مقابل منحه بعض الأراضي المجاورة لمدينة طليطلة وتمت هذه المعاهدة بينهما في سنة 526هـ/1132م، ولم يقتنع الفونس السابع بهذه المعاهدة بل أرقق أراضي سيف الدولة بالغزو من جهة، والمرابطين من جهة أخرى وعجز عن الرد؛ فدارت بينه وبين الفونسو سفارات حتى استقر الأمر بينهم على معاهدة تنص أن تضع الحرب أوزارها مدة عشر سنوات، وأن يسلم سيف الدولة حصن روطنة سنة 529هـ/1134م للفونس السابع مقابل تعويض سيف الدولة عن الحصن من قبل الفونس السابع بنصف مدينة طليطلة التي انتقل إليها بحشمه وأمواله وأقام بها إلى أن هلك⁽¹⁾.

د. رسالة الفقيه ثابت بن عبد الله العوفي إلى علي بن يوسف بن تاشفين:

سيطر المرابطون عدة سنوات على مدينة سرقسطة قبل أن يبدأ النصاري من جديد في محاولاتهم المستمرة على إسقاط المدينة، وبدأ أهل المدينة يستشعرون خطر النصاري فأرسل الفقيه ثابت بن عبد الله العوفي وهو من أهل سرقسطة وقاضها رسالة في سنة 512هـ/1118م إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أثارت غيرة الأمير على بلاد المسلمين، ودعاه دعوة عاجلة لنجدة المدينة وهذا جزء من نص الرسالة "فإلى الله بك أشتكي، ثم رسوله المصطفى، ثم ولي عهده أمير المسلمين المرتضى حيث اتبعك بأجنادك، وأمدك بالكم الغفير من أعداده نادياً لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده والذي عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التي أقربها"⁽²⁾.

(1) ابن الأبار: الحلة السرياء، ج 2، ص 249. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 120-121.

(2) محمد عبد الله دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص 541.538.

ولما وصلت تلك الرسالة إلى الأمير علي بن يوسف أجاب عليها فوراً، وأصدر أمراً إلى قائده أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين لإنقاذها إلا أنه طال الانتظار لنجدتهم وتقاعس عن نصرتها؛ بينما الفونس المحارب ضيق عليهم الحصار بالمدينة مما أدى إلى استسلامهم بعد مفاوضات ومعاهدة بينهم⁽¹⁾.

هـ. معاهدة سرقسطة:

قبل دخول النصارى مدينة سرقسطة عقدت معاهدة سلام مع مسلمين أهالي سرقسطة، ومع الفونسو المحارب زعيم المفاوضات عن النصارى وكانت شروط تلك المعاهدة كالتالي:

تسلم المدينة إلى الملك أرغون الفونس المحارب.

من أراد البقاء من المسلمين عليه دفع الجزية.

أن يسكن النصارى المدينة، ويسكن المسلمون رضى الدباغين.

- من رغب من المسلمين مغادرة سرقسطة إلى أي بلد من بلاد المسلمين فله الأمان التام، وتم الاتفاق على هذه الشروط، وسلمت المدينة للفونس المحارب ملك أرغون صلحاً في سنة 512هـ/1118م⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن الفونس المحارب لم يكون وفيماً في معاهدته معهم مثل سابقه من ملوك النصارى حيث توفي الكثير من المسلمين في مدينة سرقسطة ممن تعرضوا للأذى ولم يقبلوا على نفوسهم التبعية له؛ مما جعلهم يغادرون المدينة، حيث بلغ تعدادهم حوالي خمسين ألفاً، أخذين معهم كل أموالهم ومتاعهم أثناء رحيلهم، وبعد فترة من رحيلهم أندھش الفونس بسبب توقف الحركة بالمدينة، ولم يكن يعلم مقدار ثروات المسلمين في تلك المدينة، وما اكتسبوه من الزراعة والصناعة والتجارة فاتخذ الفونس فيما بعد قرار بعدم الموافقة على مغادرة المدينة ممن تبقى من المسلمين، ومن أراد الرحيل منهم فليترك كل ماله وأمتعته⁽³⁾.

(¹) ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص 114.106.

(²) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج 2، ص 248.

(³) ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص 163.

ثامناً/ سفارة علي بن يوسف إلى أهالي وفقهاء قرطبة:

حدثت ثورة سنة 514هـ/1120م من قبل أهالي وفقهاء وشيوخ قرطبة والسبب في ذلك تعرض أحد عبيد والي المدينة يحيى بن رواد على امرأة وأمسكها فطلبت الغوث فأغاثوها ونصروها، وعلم الأمير أبو بكر يحيى بن رواد والي مدينة قرطبة بذلك، وشكل أهل المدينة وفداً من الفقهاء وأعيان البلد واجتمعوا مع الوالي ونصحوه بقتل العبيد الذين سببوا الفتنة ليهذا الناس؛ ولكنه رفض فدارت بين والي المدينة وبين أهالي قرطبة حرب وتمكنوا من طرده ونهب بيوت المرابطين حتى وصل الخبر إلى سماع علي بن يوسف فحسم الأمر سنة 515هـ/1121م بعد أن ذهب من مدينة مراكش إلى مدينة قرطبة وتم محاصرتها، لكنه في الأخير بعث بسفارة بينه وبينهم تم الاتفاق على تلبية مطالبهم بقتل العبيد، وأن يغرم أهل قرطبة ما نهبوه من أموال المرابطين وانتهت تلك الثورة⁽¹⁾.

تاسعاً/ سفارة أبي الوليد محمد بن رشد إلى علي بن يوسف بن تاشفين:

بسبب المعارك الدائمة بين المسلمين والأرغوانيين التي كان يقودها الفونس المحارب في الأندلس توجه قاضي الجماعة قرطبة أبو الوليد محمد بن رشد بسفارة إلى مدينة مراكش سنة 520هـ/1126م، وقابل أمير المسلمين علي بن يوسف وأكرمه غاية الإكرام، وشرح له أحوال الأندلس وما بليت به على يد النصارى المعاهدين الذين نقضوا المعاهدة مع المسلمين وأردوا القضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس، ومن هؤلاء المعاهدين نصارى مدينة غرناطة على وجه الخصوص الذين كانوا أكثر عداوة للمسلمين، فقد تحالفوا وعقدوا معاهدة مع الفونسو المحارب ضد المسلمين، الذي كان من أعظم ملوك النصارى نشاطاً في حركة الاسترداد، حيث طلبوا منه غزو مدينة غرناطة، ومن نصوص تلك المعاهدة التي بينهم منها: بذل العون الصادق من أكل وشرب ومؤون وغير ذلك، كذلك تعهدوا له بأن يكونوا له مرشدين وأدلاء، كما تعهدوا له عند وصوله إلى مدينة غرناطة فإنه سوف ينضم إلى جيشه جميع النصارى المعاهدون للقتال معه ضد المسلمين، وهكذا نجح المعاهدين بإقناع الفونس المحارب، وأتى لغزو مدينة غرناطة لكنه لم يستطع الدخول إليها لحصانتها، وربما أن المعادين تقاعسوا ونكثوا بما عهدوا له وكان ذلك في نهاية سنة 519هـ/1125م ثم رفع الحصار عن مدينة غرناطة وعاد من حيث أتى، هذا السبب الذي جعل ابن رشد

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ج 4، ص 158.

يقوم على رأس سفارة إلى علي بن يوسف بن تاشفين لمقابلته، وطرح ما جرى من المعاهدين النصارى ومساعدتهم للفونس المحارب، حيث طلب من علي بن يوسف بتغريهم ووجوب إجلائهم عن أوطانهم عقاباً لهم ثم عاد ابن رشد إلى قرطبة سنة 520هـ/1126م، عندئذ أمر علي بن يوسف بن تاشفين بأجلاء المستعربين إلى بلاد المغرب⁽¹⁾.

(¹) ابن عذارى: البيان، ج4، ص73.69. للمزيد انظر عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (540.480هـ/1145.1056م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م، ص63.62.

الخاتمة

ساهمت دولة المرابطين في الحفاظ على مدن الأندلس من السقوط بيد النصارى، والسبب في ذلك الصراعات التي حدثت في الأندلس بين ملوك الطوائف مع بعضهم البعض مما أدى إلى تغييرات في الخارطة الديمغرافية السياسية لبلاد الأندلس من خلال تجزئة الأندلس إلى دويلات مما أضعف قوتها السياسية والاقتصادية، والذي أنتج زيادة النفوذ المسيحي في تلك المناطق، وتهجير الكثير من المسلمين؛ مما جعل ملوك الطوائف يستنجدوا بالأمير يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين، والذي أتى ثلاث مرات من المغرب إلى الأندلس لكي يناصرهم وتصدى لزعيم النصارى الفونس السادس في موقعة الزلاقة، كذلك توضح لنا كيف بدأ ملوك الطوائف ينقضوا عهدهم مع يوسف بن تاشفين ويتحالفوا مع الفونس السادس جزية كبيرة تم فرضها عليهم؛ مما جعل يوسف بن تاشفين يقرر بالقضاء عليهم وتم بسط سيطرته على بلاد الأندلس والحفاظ عليها.

مما يؤكد على نشاط السفارات والمعاهدات لدولة المرابطين، والتي استمرت تؤدي دورها في المغرب والأندلس إلى أن سقطت على يد دولة الموحدين ليبدأ عهد جديد من تاريخ المغرب والأندلس.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- (1) ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (595 - 685هـ/1199-1260م): الحلة السرياء، تحقيق/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1963م.
- (2) الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت 685هـ/1287م): رايات المبرزين، تحقيق/ غريسة غومس، (د. ن)، مدريد، 1942.
- (3) ابن بسام، أبو علي الحسن علي الشنتريني (ت 460هـ/1067م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق/ إحسان عباس، دار العربية للكتاب، تونس، 1981م.
- (4) ابن بلقين، عبد الله بن زيري (469/483هـ): مذكرات الأمير عبد الله والمسعى بكتاب التبيان، تحقيق/ ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
- (5) الحميري: أبو عبد الله محمد عبد المنعم (ت 866هـ/1461م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط⁽²⁾، 1980م.
- (6) الخطيب، لسان الدين أبا عبد الله محمد (ت 776هـ/1374م): - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق/ بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ط⁽²⁾، 1956م.
- كتاب رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.
- (7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.
- (8) ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أبو العباس (ت 681.608هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.
- (9) ابن أبي الزرع، علي بن محمد بن عمر (ت 726هـ/1325م): الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة، الرباط، 1972م.
- (10) ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى المغربي (ت 562هـ/1166م): المغرب في حلي المغرب، تحقيق/ شوقي ضيف، ط⁽²⁾، دار المعارف، القاهرة، 1964م.

- (11) الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت599هـ/1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق/ روجية عبد الرحمن السويفي، ط⁽¹⁾ 1997م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.
- (12) ابن عذارى، عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م): كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق/ ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- (13) ابن عياض، عياض بن موسى السبتي اليحصبي (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك، تحقيق/ محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 1983م.
- (14) ابن قنفذ، أحمد بن الحسن الخطيب (ت809هـ): كتاب الوفيات، تحقيق/ عادل نويهض، بيروت، 1971م.
- (15) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، 1965. 1966م.
- (16) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979م.
- (17) مجهول: كتبه في 712هـ/1312م): مفاخر البربر، تحقيق/ عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، 2005م.
- (18) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم/ محمد سعيد العريان، ط⁽³⁾ لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة.
- (19) المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.
- (20) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله (ت793هـ/1390م): تاريخ قضاه الأندلس كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط⁽⁵⁾، (د. ت.).

ثانياً: المراجع.

- 1) بوز، فارس: تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، منشورات جامعة دمشق، 1995م.
- 2) الحجي، عبد الرحمن: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، دمشق، (د.ت).
- 3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.
- 4) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر، القاهرة، ط⁽²⁾، 1996م.
- 5) حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008م.
- 6) دحماني، شريفة محمد عمر دحماني: العلاقات السياسية بين الطوائف الأندلسية والبربر في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م.
- 7) ذي نون، عبد الحكيم: آفاق غرناطة، دار المعرفة لنشر، دمشق، 1988م.
- 8) رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت).
- 9) سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس عهد الأمير يوسف بن تاشفين، دار النهضة، بيروت، 1998م.
- 10) شعيرة، محمد عبد الهادي: المرابطون تاريخهم السياسي (539430هـ)، مكتبة القاهرة 1969م.
- 11) الصاوي، محمد الصاوي: دولة المرابطين، مكتبة الناقد، القاهرة، 2015م.
- 12) العسلي، بسام: المعتمد وابن تاشفين، دار النفائس، بيروت، 1980م.
- 13) عنان، محمد عبدالله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

- 14) مؤنس، حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة بيد النصارى سنة 512هـ/1118م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992م.
- 15) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (495.95هـ/714.1102م)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د. ت.).

ثالثاً: المراجع العربية:

- 16) أشباح، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة/ محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م.
- 17) دوزي، رينها: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمه/ كامل الكيلاني، نشر مطبعة عيسى ألبابي الحلبي، القاهرة، 1933م.

رابعاً: رسائل الماجستير والدكتوراه:

- 18) الذيب، عيسى: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (480.540هـ/1145.1056م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م.
- 19) سلوى عبد الخالق علي أحمد: الأوضاع السياسية والاقتصادية وأثرها على المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين (1414هـ/1994م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- 20) الهرفي، محمد سلمان: الأصول السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مكة المكرمة، 1982م.